

صفة إسرائيل عليه السلام وما وكل به

قال: حدثنا ابن رسته قال: حدثنا أبو أيوب قال: حدثنا خالد الواسطي قال: حدثنا خالد الخزازي عن الوليد أبي بشر عن عبد الله بن رباح عن عائشة رضي الله عنها أن كعباً -رحمه الله تعالى- قال لها: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في إسرائيل شيئاً؟ قالت: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { له أربعة أجنحة منها جناحان أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب واللوح بين عينيه، فإذا أراد الله عز وجل أن يكتب الوحي ينقر بين جبهته } . قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن عبدة الصبي قال: حدثنا داود بن حماد بن الفرافصة أبو حاتم قال: حدثنا عبدة بن سليمان الرواسي قال: حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن يزيد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال: { إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل عليه السلام فهو واضع على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله وما الصور؟ قال: القرن قلت كيف هو؟ قال: عظيم، والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماوات -وقال غيره إنه قال: والأرض- ينفخ فيه ثلاث نفحات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله عز وجل إسرائيل بالنفخة الأولى فيقول: له: انفخ نفخة الفزع فيفزع له من في السماوات والأرض إلا من شاء الله وبأمره فيدبها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: { وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوْاقٍ } فيسير الله الجبال فتمرر السحاب ثم تكون تراباً وترتج الأرض بأهلها رجا وهي التي يقول الله عز وجل { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُنَا الرَّادِفَةُ فُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِحَةٌ } فتكون الأرض كالسفينة المرتفعة في البحر تضربها الأمواج تكفا بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرواح فيبيد الناس عن ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها ويولي الناس مدبرين. فبينما هم على ذلك: إذ تصدعت الأرض، فانصدعت من قطر إلى قطر فراوا أمراً عظيماً فأخذهم لذلك من الكرب ما لا يعلمون، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمهل ثم انشقت من قطر إلى قطر ثم انخسفت شمسها وقمرها وتناثرت نجومها، ثم كسخت السماء عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والأموال لا يعلمون بشيء من ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله، فمن استثنى الله عز وجل حين يقول: { فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } ؟ قال: أولئك الشهداء وهم آجاء عند ربهم برزقون، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء فوقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه وهو عذاب إله يعنه على شرار خلقه، وهو الذي يقول الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَيْفَ أَنْتُمْ تُفَكَّرُونَ } إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْهَا تَهْدَأُ كُلُّ مَرْصِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } فيمكتون في ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه بطول ذلك، ثم يأمر الله عز وجل إسرائيل فأمره بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم خامدون. جاء ملك الموت عليه السلام إلى الجبار تبارك وتعالى فيقول: يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت الله عز وجل وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: يا رب جبريل وميكائيل والحي الذي لا تموت، وبقي حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل وأنا، فيقول الله عز وجل: ليامت جبريل وميكائيل فيتكلم العرش فيقول: يا رب تمت جبريل وميكائيل فيقول الله عز وجل: اسكت إني كتبت على كل من تحت عرشي الموت فيموتان، وبأني ملك الموت -عليه السلام- إلى الجبار -تبارك وتعالى- فيقول: قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله -عز وجل- والله أعلم: فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا فيقول الله عز وجل: ليامت حملة عرشي فيموتون، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار -تبارك وتعالى- فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله -عز وجل- وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل له: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمت فيموت. فإذا لم يبق إلا الله تبارك وتعالى الواحد الصمد ليس بوالد ولا ولد كان آخر كما كان أولاً قال: لا موت على أهل الجنة، ولا موت لأهل النار، ثم يطوي الله تبارك وتعالى السماوات والأرض كطي السجل، ثم دحاهما ثم يلففها، ثم قال: أنا الجبار ثم هتف بصوته تبارك وتعالى وتقدس فقال: { لَيْسَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ } ثم قال: { لَيْلَةَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } ثم نادى ألا من كان لي شريكاً فليات، ألا من الذي كان لي شريكاً؟ ألا من الذي كان لي شريكاً فليات فلا يأتيه أحد، ثم يبذل الله السماء والأرض غير الأرض فيبسطها ويطبقها ويمدها مد الأديم العكاكي { لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا } . ثم يجرز الله عز وجل الخلق جرحه فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأول في بطنها وعلى ظهرها، ثم ينزل الله عز وجل عليكم ماء من تحت العرش يقال له: الحيوان فتمطر السماء عليكم يوماً، حتى يكون الماء فوق اثنتي عشرة ذراعاً، ويأمر الله عز وجل الأجساد أن تثبت فتثبت كنبات الطرايث وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل: ليحيا حملة عرشي، فيحيون فأمر الله عز وجل إسرائيل عليه السلام فيأخذ الصور، ثم يقول الله عز وجل: ليحيا جبريل وميكائيل فيحيان، ثم يدعو الله عز وجل الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا والأخرى ظلمة، ثم يلقيا الله عز وجل في الصور ثم يقول الله عز وجل لإسرائيل انفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الجبار تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض على الأجساد، ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الأجساد كمشي السم في اللدغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تتسلون، كلكم على سن الثلاثين. واللسان يومئذ سرياني سراعاً إلى ربكم تتسلون { مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ } { ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ } { وَخَشَرَتَاهُمْ قَلِمٌ يُعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا } فيوقفون في موقف واحد مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم فينكي الخلاق، حتى ينقطع الدمع، ثم يمدعون دماً ويغرقون حتى يبلغ ذلك منهم الأذقان، أو يلجمهم في بضعون فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا ليقضى بيننا فيقولون: ومن أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلا فيؤتى أحد فيطلب ذلك إليه فيأبى، ثم يستبقون إلى الأنبياء نبياً كلما جاؤا نبياً أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حتى يأتوني فإذا جاءوني، انطلقت حتى أتى الفحص فأخر قدام العرش ساجداً حتى يبعث الله عز وجل إلي ملكاً فيأخذ بعضدي فيرفعني. قال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله وما الفحص؟ قال: قدام العرش، فيقول الله عز وجل: ما شأنك يا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أعلم؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك، واقض بينهم فيقول الله عز وجل: قد شفعتك أنا أتيتكم فأقضي بينكم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأرجع فأقف مع الناس. فبينما نحن وقوف سمعنا حساً من السماء شديداً فهالنا فنزل أهل السماء الدنيا بمثلي من فيها من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفياكم ربنا؟ قالوا: لا وهو أت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة ومثلي من فيها من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفياكم ربنا؟ قالوا: لا وهو أت، ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثلي من نزل من الملائكة ومثلي من فيها من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفياكم ربنا؟ قالوا: لا وهو أت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة يحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والأرض والسماوات إلى جرحهم على منابكهم هم رجل بالنسيب وتسيحهم أن يقولوا: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العز والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يهيئ الخلائق ولا يموت، سبحان الذي يحمل رأسه تشخب أوداجه دماً فيقولون: ربنا قتلنا هذا، فيقول الله عز وجل له وهو أعلم: لم قتلتم؟ فيقولون: يا رب قتلتم لتكون العزة لك، ربنا الأعلى، سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والسلطان والعظمة سبحان أيد الأباد، ثم يضع الله تعالى عرشه حيث يشاء من الأرض، ثم يقول: وعزتي وجلالي لا يجاورني اليوم أحد بظلم، ثم ينادي نداء يسمع الخلائق فيقول: يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت لكم منذ يوم خلقتكم إلى يوم هذا أبصر أعمالكم وأسمع قولكم فأنصتوا لي. فإنما هي صحفكم وأعمالكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله عز وجل جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: { وَأَمَّا تَرَاوِ الْيَوْمَ أَبْهَى الْمُجْرِمُونَ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } إلى آخر الآية، ثم يقضي الله عز وجل بين خلقه كلهم إلا التقليل الجن والإنس يقيد بعضهم من بعض حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن، حتى إذا لم تبق تبعه لواحدة عند أخرى قال الله عز وجل: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: { يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } ثم يقضي الله عز وجل بين الثقلين فيكون أول ما يقضي فيه الدماء، فيؤتى بالذي كان يقتل في سبيل الله عز وجل بأمر الله وكتابه، ويأتي من قتل كلهم تشخب أوداجه دماً، ثم يقولون: يا ربنا قتلنا هذا، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: لم قتلتم؟ فيقول: يا رب قتلتم لتكون العزة لك، فيقول الله عز وجل: صدقت فيجعل الله عز وجل وجهه مثل نور الشمس، ثم تنسبع الملائكة إلى الجنة. ثم يؤتى بالذي كان يقتل في الدنيا على غير طاعة الله عز وجل وغير أمر الله تعززا في الدنيا، ويأتي من قتل كلهم يحمل رأسه تشخب أوداجه دماً فيقولون: ربنا قتلنا هذا، فيقول الله عز وجل له وهو أعلم: لم قتلتم؟ فيقول: يا رب قتلتم لتكون العزة لي فيقول الله عز وجل: تعست فيسود الله وجهه وتررق عيناه، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها، ثم يقضي بين من بقي من خلقه. إنه ليكلف يومئذ شائب اللبن بالماء ثم يبيعه، أن يخلص الماء من اللبن، حتى إذا لم يبق لأحد عن أحد تبعه نادى مناد فأسمع الخلق كلهم فقال: ألا ليحلق كل قوم بالهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، ولا يبيى أحد عبد دون الله عز وجل شيئاً إلا مثلث له آلهة بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عيسى فينتبهه النصاري، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عزير فينتبهه اليهود، ثم تعودهم الهتهم إلى النار وهي التي يقول الله عز وجل: { لَوْ كَانَ هُوَ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ } حتى إذا لم يبق إلا المؤمن فيهم المنافق جاءهم الله عز وجل فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس إحقوا بالهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا من إله إلا الله وما كنا نعبد غيره، ثم ينصرف عنهم وهو الله عز وجل فينتبههم فيمكت ما شاء الله أن يمكت، ثم يأتيهم فيما شاء من هيئته فيقول: يا أيها الناس ذهب الهتهم فالحقوا بالهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا من إله إلا الله وما كنا نعبد غيره. فيقول الله عز وجل: أنا ربكم فيقولون: إنا نعوذ بالله منك حتى إنهم ليهيما فيقول: هل بينكم وبين ربكم من أية تعرفونها؟ فيقولون: نعم فيكشف الله عز وجل لهم عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمة الله ما يعرفون به ربهم فيخرون سجداً فيسجدون ما شاء الله، ويجعل الله عز وجل أصلاب المنافقين كصياصي البقر، ويخرون على أقبعتهم، ثم يأذن الله عز وجل لهم فيرفعون، ثم يضرب الصراط فيجعل بين ظهري جهنم كحد الشعرة، أو كحد السيف عليه كلاكيب وخطاطيف } . ساق المؤلف هذا الحديث الطويل ويسمى حديث الصور، وقد ذكره ابن كثير في تفسيره في سورة الأنعام عند قوله تعالى: { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ } وساقه أيضاً في "البدية والنهاية". وساقه المؤلف هاهنا بإسناده بهذا السياق الطويل، والحديث يظهر أنه ليس ثابتاً، وإنما هو مجموع من عدة أحاديث كعادة القصاص الذين يجمعون الأحاديث الطويلة؛ ليكون فيها ترهيب وترغيب وتخويف للسامعين، ومناسبة ذكره لما ذكر الملك الذي ينفخ في الصور وهو إسرائيل عليه السلام.